

من اغرب واعجب ما تراه وانت تقرأ في اسباب النزول

(بعض الامثلة)

تجد انه في سنوات لاحقة متفاوتة تنزل آية فيقول الرسول ضعوها في سورة كذا بعد آية كذا ثم بعدها بايام تنزل آيتان فيقول ضعوها في سورة كذا قبل آية كذا وهكذا كثير جدا لا بل ان الاغلبية الساحقة من السور الطوال لم تنزل دفعة واحدة (عدا سورة الانعام التي نزلت دفعة واحدة) .

الشاهد لو تخيلت انك كنت معهم في السنة السادسة للهجرة مثلا لوجدت ان معظم السور غير مكتملة وفيها مساحات فارغة بانتظار ان تنزل البقية لتوضع في مكانها مع انك لن تشعر ان هناك نقص او تكملة فمثلا نزلت اول 5 آيات من اقرا ونزلت اول 5 آيات من المدثر ونزلت اول 6 آيات من المزل، وسورة البقرة كان فيها فراغات كثيرة ؛ فقد تأخر نزول: " اليوم اكملت لكم دينكم " وتأخر نزول: " واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله " وكذا آية الدين رغم ان آخر آيتين من سورة البقرة نزلت قبل ذلك .

بالتمل تجد ان هذا من الآيات التي تؤكد للصحابة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن العقل البشري لا يمكنه ان يحفظ المصحف بهذه الطريقة ويملا كل آية تنتزل في المكان اللازم حيث ستكون هناك حادثة معينة فتنتزل هذه الآية للاستجابة والتبيان وفي نفس الوقت حين تضعها في مكانها في السورة المناسبة فانها تكمل الموضوع الذي قد بدا في الآيات السابقة لها في تلك السورة فهذا فوق قدرات العقل البشري .

انظر كيف تحدى العرب بهذه السور الغير مكتملة وتحداهم بها وهي مليئة بالفراغات وظل يملا الفراغات ويعاود التحدي فلا قدروا ان ياتوا بسورة ناقصة ولا بسورة كاملة لمدة 23 سنة وهم اهل سوق عكاظ وهم اهل الشعر وهم اهل الخطابة والبلاغة والبيان والفصاحة .

انظر كيف يتحداهم بسورة ناقصة ولا يقدررون عليه ثم يحشوا في وسطها ثم يحشوا في آخرها ثم يضيف اليها في اي جزء يريد ولا يختل المعنى ولا تضعف البلاغة ولا يهتز البيان .

لا بد من التأكيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ ما ينزل عليه في صدره وقد ثبت ان جبريل كلن يأتيه ليراجعه فيما يحفظ وثبت انه كان يراجعه معه في رمضان وكذلك كان الكثير من الصحابة يحفظون ما ينزل غيبا اي في الصدور - وقد قتل من هؤلاء الصحابة الكرام حوالي 50 في حادثة غدر قامت بها عضل وقارة الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم شهرا . الشاهد ان القرآن كان في الصدور اضافة الى انه كان يكتب على العظام والخاف والجلود .

امثلة :

يقول الجلالان في كتاب تفسير الجلالين :

إقرأ

"وهي أول ما نزل من القرآن ، وذلك بغار حراء - رواه البخاري) والقسم الثاني (العلق 6 - 19) تنديد بردع أبي جهل للنبي عن الصلاة ، فقد نزل هذا بعد سورة (المدثر) : "فبين ان سورة (المدثر) نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة " إقرأ " وقد ورد في : "فإن أول ما نزل منها صدرها" .

، سورة (مريم) فإنها كلها على روي واحد . لكن يقطع قصة مريم وابنها على روي واحد متواتر ، حديث مقم من زمن آخر (مريم 34 - 39) بفاصلة مختلفة ، وبموضوع مختلف .

• وبما أن النظم أم الإعجاز في السورة والقرآن كله ، فاختلف النظم أيضا في السورة الواحدة هو عنوان جمع المنفرقات في وحدة مختلفة . وهذا واقع "المفصل" كله تقريبا .

خذ مثالا على ذلك سورة (الغاشية) ، وسورة (الانشقاق) ، وسورة (الطارق) ، وسورة (الفجر) ، وسورة (البلد) الخ . ومثال واضح على الجمع المتفاوت في النظم ، سورة (المزمل) ، فإنها تأتي بنظم واحد ، وفاصلة متقاربة واحدة ، وتشعر بختام السورة في قوله : " إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا " (19) . ثم آية واحدة (20) تكاد تكون على قدر السورة لطولها : فهذه الآية الطويلة تختلف نظما وفاصلة وموضوعا عن السورة كلها فهي من زمن آخر ألحقت فيها .

أول ما نزل في القتال .
روى الحاكم في (المستدرک) عن ابن عباس قال : أول آية نزلت في القتال "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا" — وهي في سورة (الحج) ، فجعلتهم يختلفون هل السورة مكية أم مدنية لذكر القتال والحج فيها ؛ وهي متباعدة ، بعضها مكي وبعضها مدني كما هو ظاهر .
ثم اختلفوا في أول ما نزل في القتال بالمدينة .

أخرج ابن جرير — الطبري — عن أبي العالية قال : أول آية نزلت في القتال بالمدينة "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" .
وفي (الكليل) للحاكم : أن أول ما نزل في القتال "أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" . فتأمل : إن الأولى هي الآية (190) من البقرة ،

وفي (أسباب النزول) للسيوطي ، كما أخرج الواحدي عن ابن عباس ، والطبري عن قتادة أنها نزلت في صلح الحديبية : فكيف تكون أول آية في القتال بالمدينة ؟
والآية الثانية "إن الله اشترى ... " هي الآية (111) من سورة التوبة ، فكيف تكون أول آية في القتال ، وكيف يضعونها في آخر سورة ؟
عن مجاهد أول ما أنزل الله من سورة براءة قوله "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة" (25) ؛

وعن أبي الضحى قال : أول ما نزل من براءة "انفروا خفافا وثقالا" ثم نزل أولها (في فتح مكة) ثم نزل آخرها (في غزوة تبوك) .
وأخرج ابن أشتة في كتاب (المصاحف) عن أبي مالك قال : كان أول براءة "انفروا خفافا وثقالا" سنوات ، ثم أنزلت براءة أول السورة فألفت فيها أربعون آية .

وأخرج أيضا من طريق داود عن عامر في قوله "انفروا خفافا وثقالا" قال : وهي أول آية نزلت في (براءة) في غزوة تبوك ؛ فلما رجع من تبوك نزلت (براءة) إلا ثمانيا وثلاثين آية من أولها" . فيستثنى آية البراءة (1) وآية الأذان يوم الحج الأكبر (3) . وهذا شاهد مائل للعيان على أن ترتيب الآيات في سورة براءة ليس على ترتيب النزول ، وبين أقسامها "سنوات" : فالنتيجة الحاسمة على أن ترتيب الآيات فيها ، وتصديرها بآية براءة أو قطع الآية بآية الأذان (3) .

آية الربا

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا" (البقرة 278)
أخرج البخاري عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت آية الربا . وروى البيهقي عن عمر مثله .

وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا . وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : خطبنا عمر فقال : "إن من آخر القرآن نزولا آية الربا" — لقد نزل أولا تحريم الربا الذي جعل المرابين من "أصحاب النار

هم فيها خالدون" (البقرة 275) . ثم استثنى من أصحاب النار المرابين الذين آمنوا وعملوا الصالحات (البقرة 277) . فالحقوا بهما آخر آية نزلت ! .

وهناك اجماع أشمل على أن آخر آية نزلت هي "واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله" (البقرة 281) ، "وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون يوما" أو "وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين ، لليلتين خلتا من ربيع الأول " . ويقولون : كأنه نعت اليه نفسه .

ونقول : إذا كانت آخر آية نزلت فما داعي الإعجاز لوضعها في أول سورة نزلت بالمدينة ؟ وما داعي الإعجاز لوضعها بين آية الربا (278) وبين آية الكاتب بالعدل (282) ؟

وقد وجدت في كتاب التسهيل لعلوم القرآن للعلامة ابن جزي الغرناطي

سورة الماعون: مكية ثلاث الايات الاولى، مدنية الباقي

سورة المزمل: مكية إلا الايات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية

سورة القلم: مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية

سورة الواقعة: مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان

سورة القمر: مكية إلا الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ فمدنية

سورة النجم: مكية إلا آية ٢٢ فمدنية

سورة ق: مكية إلا آية ٣٨ فمدنية

سورة محمد: مدنية إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة

سورة الأحقاف: مكية إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية

سورة الجاثية: مكية إلا آية ١٤ فمدنية

سورة الزخرف: مكية إلا آية ٤٥ فمدنية

سورة الشورى: مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية

سورة غافر: مكية إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان

سورة الزمر: مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية

سورة يس: مكية إلا آية ٤٥ فمدنية

سورة سبأ: مكية إلا آية ٦ فمدنية

سورة السجدة: مكية إلا آية ١٦ إلى غاية الآية ٢٠ فمدنية

سورة لقمان: مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية

سورة الروم: مكية إلا آية ١٧ فمدنية

سورة العنكبوت: مكية إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية

سورة القصص: مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية، وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة

سورة الشعراء: مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية

سورة الفرقان: مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية

سورة الحج: مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة

سورة طه: مكية إلا الآيتين ١٣ و ١٣١ فمدنيتان

سورة مريم: مكية إلا الآيتين ٥٨ و ٧١ فمدنيتان

سورة الكهف: مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية

سورة الإسراء: مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧، ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠ فمدنية

سورة النحل: مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية

سورة الحجر: مكية إلا الآية ٨٧ فمدنية

سورة إبراهيم: مكية إلا الآيتين ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان

سورة يوسف: مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٧ فمدنية

سورة هود: مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية

سورة يونس: مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية

سورة التوبة: مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان

سورة الأنفال: مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية

سورة الأعراف: مكية إلا من آية ١٦٣ الى غاية آية ١٧٠ فمدنية

سورة الأنعام: مكية إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤ و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية

سورة المائدة: مدنية إلا آية ٣

سورة البقرة: مدنية الا آية ٢٨١ فنزلت بمنى في حجة الوداع

قال ابو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ

سورة الانعام مكية الا ثلاث آيات : قل تعالوا اتلمدنيات.

النحل مكية سوى ثلاث آيات من آخرها.

الحج مكية سوى ثلاث آيات (هذان خصمان....).

الشعراء مكية سوى خمس آيات من آخرها .

لقمان سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ...).

السجدة سوى ثلاث آيات (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ...).

الزمر سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي (قل يا عبادي اسرفوا على انفسهم ...).

التغابن الا آيات من آخرها نزلن بالمدينة.

المزمل الا ايتين (ان ربك يعلم انك تقوم)

قال عثمان بن عفان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا [ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» [النحل: ٩٠]

وكان آخر الآيات نزولا: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) (البقرة: ٢٨١) فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

* وقد تكون الآية ألحقت بالسورة بعد تمام نزولها بأن أمر الرسول بوضعها عقب آية معينة، كما تقدم أنفاً عن ابن عباس في آية: واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله [البقرة: 281]

ما روي في صحيح مسلم عن ابن مسعود أن أول سورة الحديد نزل بمكة، ولم يختلف المفسرون في أن قوله تعالى: وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله [الحديد: 10] إلى آخر السورة نزل بالمدينة،

حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، قال: كنتُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، إذ شَخَصَ ببصره، ثم صَوَّبه حتى كاد يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره، قال صلى الله عليه وسلم: ((أتاني جبريل، وأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: 90]"[8].

ومنها: حديث ابن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه، قال: قلتُ لعثمان بن عفان رضي الله عنه: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) [البقرة: 240]، قال: قد نسخناها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: (يا بن أخي، لا أُغَيِّرُ شيئاً من مكانه)[9].

قلت: ابن الزبير هو الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه وعن أبيه ت (73 هـ)، أول مولود في المدينة لجماعة المؤمنين، والمقصود بالآية الأخرى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [البقرة: 234]، وفي الحديث دلالة على أن ترتيب الآي توقيفي من ناحيتين:

الأولى: حيث تقدّم الناسخ على المنسوخ في ترتيب آيات السورة، مع أن المنسوخ ينزل أولاً، ولو كان الترتيب اجتهادياً لتقدّم المنسوخ على الناسخ، وقد وقع ذلك في القرآن مرة ثانية؛ حيث تقدم الناسخ على المنسوخ في قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الأحزاب: 50]؛ فقد نسخت هذه الآية قوله تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) [الأحزاب: 52] [10].

ومنها: حديث عائشة قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: ((رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا)) [15].

قلت: الرجل الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم هو الصحابيُّ عبَّاد بن بشر رضي الله عنه؛ كما في الفتح في شرح هذا الحديث، والأدلة على أن ترتيب الآي في السور صادرٌ عن توقيف رباني كثيرةٌ.

تم بحمد الله
أمنت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا .